عند توقيع اتفاقية السلام في كامب ديفيد أكدت اسرائيل موافقتها على قرض استمرار عملية السلام.

أستاذ التاريخ اليهودي المصري:

بيجن ليس في مقدرة ديجول

ترجمة : حسام وشاد

أجرت صحيفة دافار حديثا مع الأستاذ شيمون شامير أستاذ التاريخ اليهودي المصري عقب عودته من مصر . تحدث فيه عن السلام ولقائه بالرئيس السادات والموقف الآن من مباحثات الحكم الذاتي .

س : هل السلام الاسرائيلي المصري محتضر ؟

ج : من غير الممكن الإجابة على هذا السؤال صراحة . فعدم التأكد هو شرط من شروط جميع السياسة . ولكن فقط هؤلاء الذين توجههم ايديولوجية واضحة يعرفون بالتأكيد ماذا سيكون المستقبل . وهناك في واقعنا الآن سلسلة من العناصر السلبية تجاه عملية السلام.

لقد حدث تغيير تجاه عملية السلام إلى الأسوأ في منطقتنا . لقد بدأت هذه العملية في السبعينات حينما بدا الشرق الأوسط ضائعا للغرب - سلام ، أمريكي .

لقد كانت القوى الرئيسية بالمنطقة - إسرائيل والسعودية - مصالح رئيسية راسخة بالاتفاق مع فكرة السلام الإسرائيلي المصري . وكان الجميع يريدون إبعاد الخطر السوفيتي وفزه خطر الحرب والخوف الذي تعانيه القوى المتطرفة تجاهها . واقتصادا جميعا على العوامل الاقتصادية والأمر الاقتصادي . ومن ثم فإنوا السيطرة الأمريكية . وحيث تغيرت الأمور أولا إيران وغزو أفغانستان وأقول لهم الولايات المتحدة في العالم بشكل عام وفي الشرق الأوسط بشكل خاص . وكانت مؤتمرات القمة العربية بغداد قمة علامات على الطريق أي كانت رمزا لتحول استراتيجي . ولم تكن توقعات السادات مسايرة للواقع الجديد . لقد التوقعات الخاصة بالعوامل عناصر أخرى لعملية السلام . وهناك عامل سلبي آخر هو قصر نظر العناصر العربية التي كانت تعترم الانضمام لعملية السلام

لقد قال السادات إن الزعامات المتعددة في العالم العربي متمسكة بأفكار الأمس ولاشعرته أن السلام في مصلحتهم وفي مصلحة دول المنطقة كلها

ومن الممكن أن نفهم الثلاثي حسين . فهو قد اختار موقفا سلبيا ، فهو يجلس اليوم موقفا لا يحدث ولم ينظر لعملية السلام كذلك يمكن أن نفهم العنصر الفلسطيني من سكان الأراضي المحتلة لكن موقفهم السلبي هذا لايضرهم فقط بل يضرنا جميعا

■ لكن ماذا بمع السعودية والكويت ؟

- إنهما جزء من العالم العربي . ويبدو فيما الاعتبارات العربية والإسلامية عند حدوث خطر جوهري أو من المتطرفين من الداخل الذين يرى الرئيس السادات فيهم خطرا حقيقيا ، يبدو البديل العربي والإسلامي لهذه الدول أقرب وأسرع

وإزاء هذا الخطر يقول الرئيس السادات : إنه يجب الاستعداد له . ويجب أيضا تحرير المنطقة من عبء الحرب ضد إسرائيل بل إشراكها في هذا الاستعداد لدرء الخطر السوفيتي عن المنطقة

وهناك أيضا عامل سلبي آخر هو موقف إسرائيل حيث تتصرف كأن اتفاقية السلام مزدوجة المضمون . وكأن هذا المضمون له نهاية يمكن بواسطتها أن يستمر دون حاجة لدفعة السلام وحكومة إسرائيل الحالي خاص بها لاتفاقات كامب داڤيد كما لو أن إسرائيل حصلت من اتفاقية السلام مع مصر على السلام وعلى يهودا والسامرة وغزة أيضا . وبينما تعد حكومة إسرائيل هي الوحيدة في العالم المتمسكة بهذا التفسير

(السلام وبيهودا والسامرة وغزة) وتهدد تحركات إسرائيل لتجسيد هذا التفسير وترجمته إلى امر واقع في الأراضي والقدس . تهدد فرص استمرار عملية السلام . وربما جعلت هذا التحركات هذا الهدف خصيصا . لقد كانت لنا صعاب في علاقاتنا بسكان الأراضي منذ عام ٦٧ ، لكن كانت هناك فرص للتفاوض والتحدث مع هؤلاء السكان كما كانت هناك فرص للتوصل إلى تسوية وذلك حتى تولت حكومة بيجن السلطة وإلى العامين الماضيين لتدهور الموقف ووصل إلى الخصومة . فقد ولدت فرص التفاوض تماما

وهناك عامل ثالث التطورات السلبية - وخاصة من جانب إسرائيل - على الرأي العام المصري . شريكنا في عملية السلام . في أشد ملاحظاتي التي لاحظتها أثناء وجودي في مصر هي تلك المرارة العميقة التي خلفتها إجراءات إسرائيل المتمثلة في إقامة الكثير من المستوطنات الجديدة ومصادرة الأراضي . ومعاقبة سكان الأراضي المحتلة والأرهاب ضد رؤساء البلديات العربية والعمليات المتعلقة بالقدس . كل هذه الإجراءات خلقت في قلوب الكثير من المصريين مرارة وحنقا . وتفسير واحد لكل هذه الإجراءات إلا وهو أن إسرائيل لاتريد السلام مع العالم العربي وأن هذه الإجراءات . الاستفزازية قصدت بها إسرائيل أن تتحدى مصر التي راهنت على استعداد إسرائيل للسلام . وهذا الرئيس السادات الذي ناضل بعملية السلام . لقد قال لي وزير مصري أن المظاهر السلبية الإسرائيلية ، في العامين الماضيين الأخيرين ، تعد عقبة في طريق السلام أكثر من دوافع الثلاثين عاما من الحروب

لماذا ؟ لأن كثيرا من هذه المظاهر السلبية في الثلاثين عاما كانت من نتاج الدعاية . وقد آمن الكثير بأنه إذا أتيحت لإسرائيل الفرصة للتوصل إلى سلام فإنها ستغيرها فورا . وبعد تصرفات إسرائيل بعد اتفاقية كامب ديفيد استنتج الكثيرون أن إسرائيل دولة توسعية عنصرية متعصبة يتأصل فيها التعصب الديني القومي تماما كما قالت عنهم الدعاية التي شكوا فيها طوال الثلاثين

هادئا . إن أكثر المقاتلين في مصر كانوا وديعة للحرب . لم نكن مع المعارضين لاتفاق السلام بل كانت مع هؤلاء الذين أيدوا السلام في البداية وبدأ الآن يشككون فيه .

■ لقد تحدثت عن قصر رؤية زعماء عرب وقصر نظر حكومة إسرائيل هل الطرفان لايفهمان مصالحهما الحقيقية ؟

– إن مصطلح « المصالح الحقيقية » يثير الضحك . لم من هو الذي يحق له أن يضع تعريفا لكلمة المصلحة الحقيقية ؟ في غالبية الأحيان وفي معظم العصور كان الحاكم هو المصلحة الحقيقية لصانعي القرارات . حتى لو كانت هذه المصلحة ضيقة في إطار سياسي أكثر شمولا . إن القدرة على مواجهة ضغوط الحاضر في سبيل تأمين مستقبل بعيد .. تعد أمرا نادرا لقد قرأت ما كتبه برجان في مقالاته اللامعة التي نشرت في « سكوير » حيث قالت : إذا رأى مايكيافللي من تاريخ كل العصور . فهو ذلك الفذ الذي يكتشف الرجل السياسي حيث يلاحظ على أعماله في المجال السياسي أنها تكون أكثر فعالية وفعلا من مجالات اهتمامه الأخرى .

وتقول برجان إن أغلب الساسة يخطئون في قدرة حكمهم سياسة تأتي لاحقا عن نهاية أعوامهم . وفي هذه الأيام عندما تتوارد الأنباء عن دخول المنطقة في العصر النووي . وحيث يقف الاتحاد السوفيتي على الأبواب . فهل هناك شيء أكثر مطلقية من اعتبار أن إبعاد خطر الحرب هو المصلحة الحقيقية لكل دول المنطقة ؟ لكن زعماء الدول العربية السياسة على عليهم التمسك بقرارات مؤتمر بغداد وعدم الاعتراف للرئيس السادات . وهناك أيضا عامل الأيديولوجية التي وجدت في عصرنا لتفسر الواقع والتي تعد اليوم أحد العوائق التي تحول دون فهم الواقع . فالمبادئ الأيديولوجية سواء العربية أو الإسلامية هي التي تؤثر على العرب لكن قلوبها تراه أوضح وأوضح . فالتمسك بأرض إسرائيل الكاملة والتطرف والتعصب اللذان يأديان إلى العزلة في العالم والمؤديان إلى فقدان صداقة مع الولايات المتحدة وإلى تقويض فرص السلام . هذه حالة واضحة رحلية من حالات الأيديولوجية التي تتكر الواقع أو لا تكون أن تسبب بالمصلحة الحقيقية للمجتمع

■ ألم ينصرفوا جميعا كما ينبغي ، باستثناء السادات ؟

– لقد اعتقد السادات أن بيجين رجل قوي . فاحتل هذا المعنى مكانا رئيسيا في تفكيره . لقد كان يرى أن هذا هو أهم شرط يمكنه من البدء في عملية السلام . لقد عرف السادات أن هذه العملية تقتضي إجراء تغيير في القيم الراديكالية بالمجتمع الإسرائيلي . واعتقد السادات أن بيجين من قرار دخول القاهرة على هذا التغيير كما فعل السادات في بلاده

ولكن لم تحدث هذا . فبيجين لايرغب في مثل هذا التغيير . وبالتالي فإنه ليس داخلا . من ناحية القدرة على إحداث تغيير في الاتجاه

انور حسن
يعتبر عملية السلام واحدة دولة منها

شيمون شامير
حديث عن السلام وقلقه بالرئيس السادات

احسان عبد القدوس
يرى أن جزءا من أرض الإسلام المقدس محتلا

السياسي . ولقد فهم السادات ذلك بعد فترة ما . لكنه لايزال يأمل في أن الشخصيات المرنة بيجين سوف توجهه للاستمرار في دفع السلام .

■ وهل أخطأ السادات في تقديراته فيما يتعلق بالعالم العربي ؟

– من الصعب معرفة ذلك . لكن مواقف العرب تأثر بالتغيرات في المنطقة . ومن الصعب معرفة ماذا يكون تصرف الدول المحيطة بالمنطقة : السعودية والأردن لو لم تحدث هذه التغييرات

■ هل تغير نظام الحكم في إسرائيل سيجعلك تحولا في عملية السلام ؟

– ربما بعد تغير نظام الحكم في إسرائيل تصبح تقديرات السادات أقرب من الواقع لكنه ، لم يبن حظوظه منذ البداية على هذا الفرض . بل على العكس . فقد قال في الرئيس السادات أكثر من مرة إنه يفضل أن يصل إلى نهاية العملية مع بيجين لو كان هذا ممكنا . ولقد اعاد على مسامعي مقالته ليجين نفسه . صارحه . لماذا لايترك للآخرين اختصار الوقت ؟ لقد تم تم العملية فسوف ينتهي من سيأتي بعدك للأسف

واليوم فإن السادات أخرجه أن إتمام بيجين لعملية السلام غير ممكن . وأن بيجين « وصل لنهاية الطريق » على حد تعبيره

وكبار القادة المصريين يبدون اهتماما كبيرا بمواقف حزب العمل ويتابعون تصريحات شمعون بيرز . ومن الصعب القول بأن لديهم صورة واضحة عما ستكون عليه سياسة حزب العمل المستقبلية . وقد قال لي كثير من المصريين إنه من الممكن أن توجد جذور السياسة التي ينتهجها بيجين لدى حكومات العمل السابقة . فالحزب العمل مهيأ وهي توضيح مبادئه لزملاء الناس وأهدافهم بالنسبة لها . وأنا أرى أن تصريحات حزب العمل بالكنيست على قانون القدس سبب عبارة كبرى من هذه الناحية

■ ألم تجد في القاهرة كلها واحدا يقدر تنازلات بيجين وإسرائيل عن كل سيناء ؟

– في مصر تقدير لالتزام إسرائيل وسلامة تنفيذ الاتفاق بشأن سيناء من جانبها وربما أيضا لاستعدادها للجلاء عن كل سيناء في إطار السلام

وعليا أن نفهم أن المصريين يريدون في عودة سيناء أمرا طبيعيا تماما مفروغا منه . فقد عرض الإسرائيليون الانسحاب من سيناء في يونية ٦٧ بعد بضعة أيام من حرب الأيام الستة . لقد أعلن السادات قبل سنوات من سفره إلى القدس أن سيناء في جيبه وأن الصراع والنقاش مع إسرائيل هو حول أمور وعناصر أخرى من عناصر النزاع . والمصريون غير منحازين من الناحية العاطفية مع الفلسطينيين . بيد أنهم يرون في الموضوع الفلسطيني أساس اتفاق السلام . وأنه تحك احتياله . وتعطيلات الاتفاق القومي المصري والعربي فإنه من غير الممكن إعطاء الصلاحية وإجازة المخالفات كاتب ديفيد نصا وروحا . لكن فرضية أن اتفاق السلام يؤدي إلى أي نوع من تقرير المصير للفلسطينيين . هذه الفرضية هي فقط التي تعطي الشرعية لهذه الاتفاقات

■ هل بسبب عقليات الحكم الذاتي فقط أغلق المصريون تطبيع العلاقات ؟

– يبدو لي أن كلمة « أغلق » حادة جدا . هناك سفارة بكل الدولتين . وشركات العمل وبقريبتي تدرج طائراتها أجواء الدولتين . وهناك السياح الإسرائيليون يزورون مصر . لكن ليس هناك شك في أن البرود الذي تنتهجه السلطات المصرية تجاه بعض مجالات التطبيع لايساعد على التحليق والانطلاق

وعنصر المصريين الحاسم في ذلك هو أنه إذا لم تكن هناك حياة وروح للحكم الذاتي فإن الأمر كذلك بالنسبة للتطبيع .

ويجب علينا ألا نسين بالعنصر الشعبي المعوق السلبي تجاه التطبيع من الجانب المصري . فكثير من المصريين يعتقدون أنهم لو سمحوا لأنفسهم بالاشتراك بصلة شخصية في إقامة علاقات عادية وودية مع إسرائيل وسع إسرائيليين فإن مبادئهم الوطنية وكرامتهم الشخصية سوف تضار . كما أن هناك أيضا حية الأمل والغضب بسبب مواقف إسرائيل تجاه المشكلة الفلسطينية

وهناك مصريون كثيرون يرون أن الظروف غير مواتية الآن . لقد قال الأديب إحسان عبد القدوس إن الإسرائيلي يستطيع أن يتنزه في القاهرة ويأكله مرتاح في حين أن المصري لايمكنه أن يكون كذلك مادام جزء من أرضه محتلا . وأن المصري إذا تمشى في تل أبيب فإنه سوف يشعر بالذلال ما . لقد التقيت بضع مرات بخمسة من أساتذة الجامعات المصرية الذين يؤيدون والذين يريدون اجراء حوار حاشر مع إسرائيل ولكن بسبب الضغط النفسي والأخلاق الذي مارسه عليهم زملاؤهم احجموا عن زيارة إسرائيل . ويجب أن نضيف أيضا إلى ذلك مصالح بعض الشخصيات والفئات المصرية الخاصة المرتبطة بالعالم العربي . فإن أي اتصال بإسرائيل يهددهم بالضرر المادي وبأضرار أخرى .

ورأى أن القادة المصريين الذين لايشجعون على مزيد من اشتراك ومساهمة بالتدعيم في التطبيع . أرى أنهم على حق . أيا كانت الأسباب . فالعنصر الرئيسي الذي يستطيع تعطيل حركة السلام في الجانب الإسرائيلي هو إدراك أن التنازلات تؤدي إلى السلام . إن شكوك الإسرائيليين إزاء السلام التي يغذيها الموقف المصري الحالي تضر بمصالح سياسة السلام المصرية .

■ هل هناك أمل بالنسبة لعملية السلام ؟

– لقد أوردت الكثير من العقبات والصعاب . لكن هناك أيضا جوانب مضيئة . إن سر قوة مبادرة السلام يكمن في واقعيتها وعمليتها . إن السلام بين مصر وإسرائيل هو تقريب لأعلام الواقع وفرضه قسرا . إنني واثق من أن السادات جاء إلى القدس ، على الرغم من الوساوس والتردد التي صاحبت قراره ، لأنه أحس أن هذا واجبه كمواطن مصري وكزعيم مسئول . وأعتقد أن رئيس الحكومة بيجين وقع على اتفاق السلام وتعهد – في إطاره – بقبول أمور لم يعتقد من قبل – أنه سيضطر لقبولها لأنه لم يكن أمامه خيار آخر كرئيس حكومة إسرائيل في هذه المرحلة التاريخية . والضرورة للسلام تزداد بمرور الوقت على الرغم من أن عناصر كثيرة تعرض عملية السلام . وفي الجانب الإسرائيلي فإن أفضل الآمال على الحكومة القادمة . لقد كانت ميزة حكومات حزب العمل التقليدية هي واقعيتها وعمليتها . لذلك الواقعية التي ترى أن مشكلة إسرائيل الرئيسية هي الأمن وهي المشكلة التي يجب حلها . إنني واثق من أننا عندما نصل إلى المرحلة التي نتحدث فيها مع مصر والآخرين عن الضفة الغربية وقطاع غزة بمصطلحات الأمن الإسرائيلية . فإننا نكون قد صنعنا نصف الحل في أيدينا . لقد سمعت في مصر مثل هذه الآراء من مصريين يبدون اليوم خلاف الأمس . فهما أكثر حاجة إسرائيل الماسة للأمن والاعتبارات إسرائيل لأهمية التي تقدمها مشاريعها المستقبلية □